مكتبة «البناء»

«عن الديمقراطيّة» للأميركيّ روبرت دال بالعربيّة

«عن الديمقراطية» كتاب للباحث والأكاديميّ الأميركي روبرت ألن دال صدر حديثاً في ترجمته العربيّة التي أنجزها سعيد محمد الحسنية، في منشورات «شركة المطبوعات للتوزيع والنشر»، وهنا مقدمة المؤلّف التي توضح منهج بحثه:

هل نحتاج إلى دليل بالفعل؟

شهد العالم في خلال النصف الأخير من القرن العشرين تحولاً سياسياً استثنائياً وغير مسبوق. نلاحظ في خلال هذه الفترة، أن جميع البدائل الرئيسة للديمقراطية إما أنها اختفت، وإما أنها انحرفت عن مسارها، وإما أنها انسحبت من الميدان كي تتقوقع في آخر معاقلها. لكن في وقت مبكر من القرن العشرين، فقدت الأنظمة السابقة للحداثة ـ الحكم الملكي المركزي، والأرستقراطية الوراثية، وحكم الأقلية الذي يستند إلى نظام انتخابات يستبعد رأي الأكثرية ـ شرعيتها في عيون معظم البشر. اختفت في وقت سابق من القرن العشرين الأنظمة الرئيسة المعادية للديمقراطية التي ظهرت في القرن العشرين ـ الشيوعية، والفاشية، والنازية ـ تحت أنقاض حرب كارثية، أو انهارت من الداخل، أي كما حدث في الاتحاد السوفياتي. أما الدكتاتوريات العسكرية فقدت صدقيتها بسبب فشلها، وخصوصاً كما حدث في أميركا اللاتينية، أي حيث تمكنت هذه الأنظمة من الاستمرار لأنها تبنت قناعاً يمكن وصفه بالديمقراطية الزائفة.

لكن هل يعني ذلك أن الديمقراطية قد ربحت أخيراً المنافسة التي تهدف إلى كسب دعم الناس في أنحاء العالم كافة؟ يكاد يبدو ذلك صحيحاً، لأن المعتقدات والحركات غير الديمقراطية □أو المناهضة للديمقراطية○ تمكنت من الاستمرار بفضل ارتباطها بالأصوليات القومية أو الدينية المتشددة. يمكننا القول إذاً إن الأنظمة □أو الحكومات○ الديمقراطية (التي تتبنى مستويات متفاوتة من «الديمقراطية») موجودة في أقل من نصف بلدان العالم، وهي تضمّ أقل من نصف سكان العالم. يعيش ما نسبته خُمس سكان العالم في الصين، وهي الدولة التي لم تعرف في خلال أربعة آلاف سنة من تاريخها المجيد أيّ حكومة ديمقراطية. أما في روسيا التي حقّقت تحوّلها إلى الحكم الديمقراطي في العقد الأخير من القرن الماضي، فإن الديمقراطية فيها هشة، ولا تلقى سوى دعم ضعيف نسبياً. لكن حتى في البلدان حيث الديمقراطية متّبعة منذ زمن، وتبدو كأنها راسخة، فإن بعض المراقبين يعتقدون أن الديمقراطية تمرّ في أزمة، أو أنها تتعرض لضغوط نتيجة التراجع الحاد في ثقة المواطنين بقدرة، أو نية، قادتهم المنتخَبين، والأحزاب السياسية، والمسؤولين الحكوميين، على التعامل المقبول أو الناجح مع قضايا مثل البطالة، والفقر، والجريمة، وبرامج الرفاه الاجتماعي، والهجرة، والنظام الضريبي، أو الفساد.

دعونا الآن نحاول تقسيم دول العالم التي يبلغ عددها نحو مئتي دولة إلى أنظمة غير ديمقراطية وأنظمة ديمقراطية حديثة، وأنظمة راسخة نسبياً ديمقراطياً منذ زمن طويل. تشتمل كل فئة من هذه الفئات على مجموعات متنوعة من البلدان، لكن هذا التقسيم الثلاثي المبسّط يساعدنا على ملاحظة أن كل مجموعة تواجه تحدياً مختلفاً، وذلك إذا ما نظرنا إليها من وجهة نظر ديمقراطية. أما بالنسبة إلى الدول غير الديمقراطية فيتمثّل التحدي في ما إذا كانّ في مقدورها تحقيق التحوّل نحو الديمقراطية، وفي كيفية حصول ذلك. لكن الدول التي تبنّت الديمقراطية حديثاً فإن التحدي يتمثّل في ما إذا كان في الإمكان تعزيز الممارسات والثوابت الديمقراطية الجديدة فيها، وفي كيفية تحقيق ذلك، أو كما يقول بعض علماء السياسة في تعزيزها بحيث تستطيع الصمود أمام اختبارات الزمن، والصراع السياسي، وبحيث تتمكن من تعميق هذه الديمقراطية.

ربما يطرح القارئ في هذه المرحلة بعض التساؤلات: ماذا، بحق الله، نعني بكلمة الديمقراطية؟ وما هي الأمور التي تميّز النظام الديمقراطي من النظام غير الديمقراطي؟ إذا أقدم بلدٌ غير ديمقراطي على التحوّل إلى الديمقراطية، ما هي الأمور التي سوف يتحوّل البلد إليها؟ متى يمكننا الجزم بأن التحوّل قد تمّ بالفعل؟ أما بالنسبة إلى مسألة تعزيز الديمقراطية، فما هي الأمور التي يتمّ تعزيزها؟ وما هو معنى الحديث عن تعميق الديمقراطية في بلد ديمقراطي؟ وإذا كان البلد ديمقراطياً سلفاً، فكيف بإمكانه أن يصبح أكثر ديمقراطيةً؟ وغير ذلك من الأسئلة.

استمر النقاش حول الديمقراطية نحو ألفين وخمسمئة سنة، وهي فترة كافية لتوفير مجموعة قيّمة من الأفكار حول الديمقراطية، وبحيث يتمكن كل شخص تقريباً، من الاتفاق بشأنها. لكن الوضع ليس كذلك بجميع الأحوال.

إن القرون الخمسة والعشرين التي كانت فيها الديمقراطية موضع نقاش، وجدال، ودعم، وعرضة للهجوم، والتجاهل، والتحقق، والممارسة العملية، وللتدمير، ولإعادة تحققها مجدداً، لم تفلح كلها، على ما يبدو، في تحقيق نوعٍ من الاتفاق حول معظم المسائل الأساسية حول الديمقراطية.

نلاحظ، للمفارقة، أن ترافق الديمقراطية مع هذا التاريخ الطويل قد ساهم بالفعل في حدوث نوع من الارتباك والاختلاف، وذلك لأن الديمقراطية كانت تعني أشياء مختلفة لأشخاص مختلفين وفي أوقات وأزمنة مختلفة. ينبئنا التاريخ البشري كذلك بأن الديمقراطية قد اختفت عملياً، لكنها بقيت حيةً تقريباً، وذلك بوصفها فكرة، أو ذكرى، بين قلة مختارة من الناس. نلاحظ كذلك أنه حتى ما قبل قرنين من الزمن فقط ـ أو لنقل عشرة أجيالٍ ـ افتقر التاريخ كثيراً إلى نماذج حقيقية عن الديمقراطيات. يعني ذلك أن الديمقراطية كانت أقرب ما يكون إلى مسألة يستطيع الفلاسفة التنظير بشأنها، وليست نظاماً سياسياً حقيقياً يتمكن الناس من تبنّيه وممارسته. لكن حتى في النماذج النادرة التي توافرت حيث نشأت «ديمقراطية»، أو «جمهورية» بالفعل، فإن معظم البالغين لم يكن يُسمح لهم بالمشاركة في الحياة السياسية.

لكن بالرغم من أن الديمقراطية قديمة بالمعنى العام للكلمة، إلا أن صيغة الديمقراطية التي سوف يتركّز عليها معظم مناقشتي في هذا الكتاب هي نتاج القرن العشرين. يمكننا القول إنه في هذه الأيام يتوافق الناس على الافتراض أنه يجب على الديمقراطية أن تضمن، فعلياً، حق التصويت لكل مواطن بالغ. لكن قبل نحو أربعة أجيال ـ أي في نحو العام 1918، أو في نهاية الحرب العالمية الأولى ـ وفي كل بلد ديمقراطي مستقل أو جمهورية مستقلة كانت قائمة حتى ذلك الحين، كان نصف مجموع السكان البالغين محروماً من الحقوق الكاملة للمواطنية. تألفت تلك الفئة من النساء بطبيعة الحال.

تبرز هنا فكرة مدهشة: إذا ما تقبّلنا بأن مبدأ حق التصويت الشامل لكل البالغين هو شرطٌ لتحقق الديمقراطية، فسوف يوجد بعض الأشخاص في كل بلد ديمقراطي ممن هم أكبر من نظام حكمهم الديمقراطي. ربما لا تكون الديمقراطيّة بمعناها المعاصر حديثة بالضبط، بل بالكاد قديمة.

ربما يعترض القارئ هنا على الفور: ألم تكن الولايات المتّحدة ديمقراطية منذ الثورة الأميركية وما بعدها، أو «ديمقراطية في جمهورية» بحسب وصف أبراهام لنكولن لها؟ ألم يُطلق الكاتب الفرنسي الشهير أليكسس دي توكفيل على عمله الشهير عنوان «الديمقراطية في أميركا»، وذلك بعد زيارته الولايات المتّحدة في الثلاثينات من القرن التاسع عشر؟ ألمْ يُطلق الأثينيون وصف «الديمقراطي» على نظامهم السياسي في القرن الخامس ق.م.؟ وماذا كانت الجمهورية الرومانية إن لم تكن نوعاً من الديمقراطية؟ لكن إذا كانت «الديمقراطية» تعني أموراً مختلفة في أزمنة مختلفة، فكيف يمكننا أن نتوافق على ما تعنيه هذه الأيام؟

يمكننا أن نواصل التساؤل بعد البدء بهذه العملية: لماذا الديمقراطية مرغوب فيها على أيّ حال؟ وما هو مدى ديمقراطية «الديمقراطية» في البلاد التي نطلق عليها وصف الديمقراطيات هذه الأيام: الولايات المتحدة، بريطانيا، وفرنسا، والنروج، وأستراليا، وعدد آخر من البلدان؟ واستطراداً هل من الممكن تفسير السبب الذي يجعل من هذه البلدان «ديمقراطية» ومن عدد كبير آخر من البلدان غير ديمقراطية؟ يمكننا مواصلة هذا النوع من الأسئلة إلى ما لانهايّة.

يتضح لنا عند هذه النقطة جواب السؤال الوارد في عنوان هذا الفصل. إذا كان المرء مهتماً بالبحث عن أجوبة عن بعض الأسئلة الأساسية حول الديمقراطية، فإن وجود الدليل يُمكنه أن يؤدي دوراً مساعداً.

لا تقدم هذه الجولة السريعة، بطبيعة الحال، أجوبةً عن كل الأسئلة التي يحب القارئ أن يطرحها. لكننا اضطررنا إلى تجاهل مسارات كثيرة ربما يعتبر القارئ استكشافها ضرورياً، وذلك بغية إبقاء جولتنا موجزة وسهلة. ربما يكون من الضروري استكشاف تلك المسارات، وأنا آمل مع نهاية جولتنا هذه أن يتمكن القارئ من استكشافها بمفرده.

نللي حنا تحكي قصة القاهرة في 1300 عام

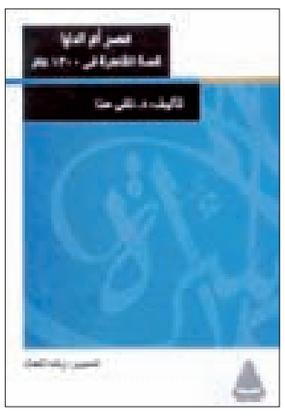

في مقدمة كتابها «مصر أم الدنيا ... قصة القاهرة في 1300 عام» تقول د. نللي حنا، أستاذة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية في القاهرة، والمتخصصة في تاريخ الدراسات العربية في العصر العثماني: ليست مدينة القاهرة التي نعرفها اليوم مدينة واحدة، بل هي في الأصل أربع مدن، أنشئت الواحدة بعد الأخرى عاصمة لمصر، ثم اندمجت هذه المدن الأربع حتى صارت مدينة واحدة، وهي ليست مدينة الملايين التي يسكنونها اليوم فقط، ولكنها أيضاً مدينة الملايين الذين سكنوها من قرون ماضية، جيلاً بعد جيل، وبنوا وشيّدوا. يرجع تسمية التجمع السكاني الذي أنشأه عمرو بن العاص بـ (الفسطاط) إلى أنه لما أراد أن يتوجه إلى الإسكندرية لمحاربة الروم أمر بنزع فسطاطه، أي خيمته، فوُجدت بها يمامة قد فرخت، فأمر بإبقائها في مكانها، فلما عاد مع جيشه من الإسكندرية وسأل الجنود: أين ننزل: قال لهم: عند (الفسطاط) فظل الإسم مرتبطاً بهذا المكان الذي تركت فيه الخيمة، وبعد عودة عمرو من الإسكندرية بنى جامعه المعروف بجامع عمرو بن العاص وهو ليس – فقط – أول جامع بُني في مصر، بل أول جامع في أفريقيا كلها، وقد بني بجوار الدار المخصصة لسكنه. أمر المعز لدين الله الفاطمي ببناء القاهرة المعزية لتكون عاصمة ليس فقط لمصر ولكن لتكون عاصمة الخلافة الفاطمية. واختار جوهر الصقلي لهذه المهمة، وبدأ جوهر فعلاً في بناء المدينة فوراً، بعد سيطرة الجيش على البلاد، واختار جوهر الصقلي موقع المدينة الجديدة على بعد نحو كيلو مترين شمال شرق المدينة القديمة، وقام ببناء سور، ثم أنشأ أول جامع في القاهرة، وهو الجامع الأزهر ولم تتجاوز مساحة المدينة – حينذاك – الكيلو متر المربع، ثم أخذت القاهرة تتحول – على عدة مراحل – من مدينة مغلقة تؤوي الحكام إلى مدينة يسكن فيها العامة من الناس.

ثم حدثت أولى مراحل هذا التغيير في عهد الخليفة المستنصر، وهو الذي بُني في عهده السور والبوابات، وجاءت المرحلة الثانية من التغيير بعد أقل من مئة عام (564 هـ – 1168) إذ حدث أن أحرق الفسطاط أهلها ليحموها من هجوم الفرنج عليها، ويمثل سقوط الدولة العثمانية ثالث وآخر مرحلة من مراحل تحوّل مكان مصر إلى القاهرة، وجعل العاصمة سكناً للعامة من الشعب، فعندما أخذ صلاح الدين الأيوبي زمام الحكم سنة (567 هـ – 1171) قرر عدداً من التغييرات أثرت كثيرًا في تطور المدينة على المدى الطويل».

تتطرق المؤلفة إلى تخطيط المدينة قائلة: «كان للمدن الأولى (الفسطاط، والعسكر، والقطائع، والقاهرة) عند إنشائها نموذج متميز من التخطيط، فكان قلب المدينة يشتمل على الجامع، وسكن الحاكم، ودار الإمارة، ثم تنشأ الأسواق إلى جوار أو حول الجامع، ثم تقام بعد ذلك الأحياء السكنية. وكان لكل مجموعة من الحارات مرافق عامة مشتركة كالمسجد، والأسواق التي تباع فيها الخضراوات والفاكهة وغيرها، كما يوجد – أيضاً – حمامات عامة، ولم يكن الهدف من الذهاب إلى الحمام النظافة فقط وإن كان هدفاً أساسياً، ولكن – أيضاً – اللقاء بالأصدقاء والأقارب والترفيه».

أمّا القاهرة أثناء عصر السلطان الناصر محمد فتستعيدها كالآتي: «عمر أثناء هذه الفترة العديد من الأحياء الجديدة خارج أسوار المدينة الفاطمية، وبلغت مساحة المدينة اتساعًا كبيرًا، وتزامن هذا الاتساع مع فترة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي لعب أيضاً دورًا مهمًا في تطوير المدينة بفضل سياساته في هذا المجال وحبه للمباني وفن العمارة، فهو أول من أنشأ ديوانًا خاصًا بالمباني سماه «ديوان العمائر» لتنظيم عمليات البناء وشيّدت – فعلاً – العديد من المباني العامة في هذه الفترة من جوامع ومدارس وحمامات وغير ذلك».

تصل الباحثة حنا إلى القاهرة في العصر الحديث، وتشير إلى أن الأمور المهمة التي شهدتها القاهرة – في القرن التاسع عشر – انتقال مركز السلطة من القلعة إلى أنحاء أخرى في المدينة وخارجها، بما في ذلك سكن الحاكم والدواوين والعسكر، فكان لكل هذه العوامل أثر مهم في حدوث اتساع عمراني في القاهرة في عدة اتجاهات. وتضيف: «شيدت الأحياء الجديدة على نمط يخالف تمامًا النمط القديم المتبع في القاهرة حتى عصر محمد علي باشا، أي النمط المعتمد على الشارع العام الذي يذكر فيه العديد من الأنشطة الاقتصادية والمنافع العامة وتميز – أيضاً – شكل المباني في الأحياء الحديثة، واتبع النمط الغربي في البناء والمعروف أن محمد علي باشا قد أصدر أوامره بمنع إقامة المشربيات، وأن يستعمل الناس ألواح الزجاج على الشبابيك كما هو متبع في بلاد الغرب. وبعد ذلك انتقلت الطبقة الحاكمة إلى الأحياء الحديثة الإنشاء: مثل «غاردن سيتي»، و«الزمالك» ... وهكذا، لم يبق في المدينة القديمة سوى الحرفيين ومحدودي الدخل، وأهملت هذه المناطق ومبانيها».

صدر كتاب «مصر أم الدنيا ... قصة القاهرة في 1300 عام» لمؤلفته د. نللي حنا، تصوير راندا شعث، لدى الهيئة المصرية العامة للكتاب.

يوسف ضمرة يكتب قصصاً فلسطينيّة تفيض بقضايا ومواضيع إنسانيّة

صدرت لدى «دار فضاءات للنشر»، في عمّان مجموعة قصصية جديدة للقاص الأردني يوسف ضمرة تحت عنوان «مراوغون قساة» وتحتوي على خمسين قصة، بعضها قصص قصيرة جداً، وتشكل محطة جديدة في اشتغالات كاتبها على النص القصصي لناحية الأسلوب ومقاربة الواقع والشخوص ورؤاها المختلفة للحياة.

في قصص مجموعة «مراوغون قساة» توظيف للحلم والمخيلة واتكاء إلى وقائع مستلة من مفردات الحياة اليومية المجبولة بطقوس الكتابة القصصية المليئة بالأحاسيس الإبداعية التي تفرزها مصائر شخوصه في تداعيات وهواجس تشتبك مع الموت والغياب والعزلة والمرض. كما تفيض المجموعة بقضايا وموضوعات إنسانية بليغة الدلالات توظف تقنيات فنية تقرأ وترسم وتستدعي أطيافاً من الذاكرة والخيال وحوادث وتفاصيل عن الذات والمرأة، وجميعها تنتمي إلى السرد القصصي المكثف والمقتصد والأسلوب القريب من الشعر في بعض من أجزاء النص. ومثلما فعل يوسف ضمرة في العديد من قصصه السابقة، يتّجه في هذه المجموعة إلى النفس الإنسانية بوجهها العاري، وإلى مناطق قد تكون غائرة في الأعماق، أو محجوبة بسواتر مختلفة، ليعبّر بذلك عن تشوّهات اجتماعية تتغلغل في المجتمع.

من عناوين قصص المجموعة: «انتحار»، «حرمان»، «رجل حزين وزهرة واحدة»، «عتبة السبعين»، «مشهد مؤجل»، «من كتب القصة؟ كل شيء يأتي متأخراً»، «سحابة بيضاء ممزقة»، «سؤال وحيد وعشرون سنة»، «الرقص بساق واحدة»، «المرأة التي في الأربعين»، «بكاء على درج المنزل»، «عنق قابلة للكسر»، «طعنة محكمة» و«نساء وراء رامبو».

صدرت ليوسف ضمرة المجموعات القصصية الآتية: «أشجار دائمة العري»، «العربات»، «نجمة والأشجار»، «المكاتيب لا تصل أمي»، «حكايات عن طيور البطريق»، إلى قصص مترجمة للأطفال مثل «ذلك المساء»، «أشجار دائمة العري»، «اليوم الثالث في الغياب» و«مدارات لكوكب وحيد» و«طريق الحرير» و«عنقود حامض» والأعمال الكاملة، إضافة إلى رواية «سحب الفوضى».

من الإبداع القوميّ

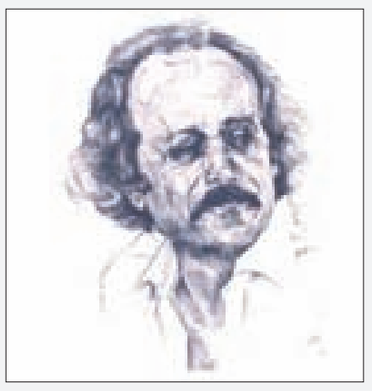

■ كمال خير بك

أشباح

عندما يحتفل الصمت في ضلوعي.
وترقص أشباح الموت البعيدة
وتلتصق أجفاني
على الأحلام الذليلة الرائحة،
أشعر أني أخلق من جديد
بثياب الرّهبان وبائعي المخدرات.
أعتكف في نفسي، أتلهّى بالدقائق الفارغة
أنسج مراكب وبحاراً
من اللهفة والاغتراب.
إنني عاشق أمسي المحترق
عاشق رماده الرطب،
وقشعريرة العشيّات الباردة
تتكاثف بغنج وخوف على جبيني
وقدميّ،
حتى لأظنّ أن بيتاً من المسامير
أخذت تقترب جدرانه صوبي
وفي رأس كل مسمار وجه شيطان
يقهقه ويعلك ذراع طفلة.
(بيروت ـ 19 آذار 1958)

لا أحد...

لا أحد، لا أحد ينقذكَ من مأواك
أستطيع أن أعلمك حتى قواميس الشرر
حتى كيمياء اللذة،
أستطيع أن أدخلك في شتائي خلسة، وأمام الجماهير
وأتيح لك أن ترى زمهرير عذاباتي
لكنني لا أقدر،
لا أقدر أن أخلصك من دفئك.
كأنك محصنةٌ بالماضي
وأنا أتدحرج كالعصفور داخل عاصفة الثلج الآتية.

سنجاب الثورة

من وريد إلى وريد،
من عصب إلى آخر،
يقفز سنجاب الثورة.
تحت الجلد،
فوق الجلد،
داخل منطقة النسيان،
داخل منطقة التذكر،
داخل الحواس الخمس
داخل المعدة.
داخل أعضاء الجنس
داخل القلم،
داخل الحبر،
داخل المعنى،
داخل أعضاء الثورة،
أبيعك لقاء رعشة سريعة في الجلد.
لن أعتذر، ولن أطلب غفرانك
لأنك ستغفر،
ولأنني لن أتوب.

فضيحة داخل الفمّ

كان اللسان يتشمَّس، كالتمساح،
على ضفاف بحيرة الكلام،
داخل أمازون السكوت.
كان مليئاً بالضجر،
رغم العواصف التي تخترق الأسنان،
يحلم بلفظة ما،
بفضيحة ما
يتثاءب ويزفر طويلاً
في وجه السماء المهدّد بالسقوط.
ثم يهطل المطر بلغات وحشية منقرضة،
بأبجدية تستفزّ الاختيار:
الحروف الشقراء، والحروف الغامقة
الكلمات الأفعى، والكلمات العصافير،
الفضيحة المحصنة، والفضيحة العارية،
الفضيحة المحاصرة، والفضيحة الصرخة
... ثم ينهض اختيار آخر ـ
اختيار اللا اختيار،
تنهض فضيحة أخرى ـ فضيحة السكوت،
ويسقط التمساح في حصانة المياه.

الطلائع

نتقدم ببطء، بثعلبة خارقة، بأسماء متوحشة.
نتقدم بسرعة،
بعري الصخور المسننة، بمدن نحملها بين الأضراس.
نتراجع ببطء تحت مظلات الشعر،
تحت رايات السفلس.
نتراجع بسرعة، فوق جياد الذعر،
فوق حضارة الطاعون.
نراوح، بين آخر الليل وآخر النهار،
بين عضو الأنثى وعضو الذكر.
نراوح، نحن شرطة السير،
بين الضوء الأحمر والضوء الأخضر.
نراوح، نحن حملة الريش والأقلام،
بين الألف والياء،
بين اللوحة والإطار،
داخل أبجدية الرموز الشائخة.
نتقدم، نتراجع، ونراوح...
في نقطة واحدة، نحن طلائع السرطان الظافرة.

في المقهى

كنا نتجاذب أطراف المأساة،
وكان الكلام يرتدي قفازاته وثيابه الرسمية،
كنا نحمل قنافذنا تحت الجلد،
وتحت ياقات المعاطف.
لا جسر بيننا ولا كلمة سر،
نتقدم بحذر، بأصابع وألسنة حسابية
نتحاشى الفضيحة ما أمكن.
لكنّ قنافذنا كانت تتحرك وتتآمر.
وأمام تقلّصات الجلد وانتفاخ الياقات،
كانت تتجمّع عواطف اللاجدوى،
وتتناصل جراثيم الانتحار.

(من مجموعة «الأنهار لا تتقن السباحة في البحر»)

الفريسة

أدخلك، وأخرج منك،
ثم أتأوه وأبكي.
أدخلك لأنني مريض
وأخرج منك كي أعافى،
كي تكبر جرثومتي الصغيرة،
أدخلك حينما أحاصر بالصمت،
بالضوضاء العازلة
حينما تحس جرثومتي بالضجر
أدخلك كيما أخرج
أخرج منك كي أتوغل فيك،
كي أروّضك
كي أقتنصك
كي أدخرك لضجري الذي يجوع،
للضجر الذي يحتلني بالعقم
ويزرعني بالعشب والمستنقعات.

اعتراف

إنني أخونك يا حبيبي
أخونك، وأسرق ثيابك حين تنام،
حين تغفل عن جرائمي الصغيرة.
أخونك أيها الشعر، وأطرحك بين الأضراس
وتحت ردائك الساحر
أكمن وأصطاد جراثيم الضجر،
داخل أدغالها المتوحشة،
داخل التنافر، داخل الانسجام.
لا أعرف، لا أعرف أين يبيت
لا أعرف مواعيد نومه أو يقظته،
مواعيد رحيله أو قدومه، حضوره أو غيابه
مواعيد قبوله أو تخليه،
شبقه واكتفائه
لا أعرف اسمه ولا ملامحه
لا يكلمني ولا يجيبني
لا يؤاخيني ولا يخاصمني
يقبل تحت ملاءة الفجاءة
حاملاً حرابه الصديقة،
حرابه القزحية الرعب،
حرابه المتكلمة
يأتي تحت غيوم التوقّع
وكقديس المعجزة، يرشح من تخلخل الزمن،
من شقوق اللحظات الحاسمة.
وحين تكون أبصارنا جاهزة للغياب،
جاهزة للتنازل والمساومة
حاضرة في قبضة الحواة،
في مغناطيس الهزيمة،
ينفجر، ينفجر أمامنا
من فقاعة السحر،
من طاقية الإخفاء
ينفجر، ويغطينا بالدخان،
ثم يدخلنا من ثقب ما،
من ثقوبنا العديدة
يدخلنا، ويتنقل فينا
برضانا ورغماً عنا،
يقيم، في لحمنا ولائم الغضب
ويملأ رؤوسنا بالجاز ولعب الأطفال...
هذا السيّد الصغير البهلوان
خلقناه، مرّة، في المرآة
وحين رآنا لأول لحظة...
فرّ إلى الأبد.

الخبر الثقافي

موسوعة «بيروت عاصمة عالمية للكتاب»

دعت المنسقة العامة لسنة بيروت عاصمة عالمية للكتاب ومديرة ملحق «السفير» الفرنكوفونيّ ليلى بركات إلى حفل إطلاق موسوعة «بيروت عاصمة عالميّة للكتاب»، برعاية الرئيس سليم الحصّ، ويتضمّن كلمة «تحيّة لبيروت والكلمة» يلقيها ناشر جريدة «السفير» ورئيس تحريرها الزميل طلال سلمان، عند الساعة الخامسة من عصر اليوم الخميس، في فندق «كروان بلازا»، شارع الحمراء.

كمال حمدان محاضراً في الثقافيّ الجنوبيّ

دعا المجلس الثقافي للبنان الجنوبي إلى محاضرة يلقيها الدكتور كمال حمدان تحت عنوان «قراءة في الوضع الاقتصادي المالي الراهن في لبنان»، تقديم وإدارة الدكتور عبدالله رزق (عضو الهيئة الإدارية)، اليوم الخميس الساعة السادسة مساءً، قاعة المجلس، بيروت، نزلة برج أبي حيدر، خلف محطة توتال.

ندوة حول جبرا إبراهيم جبرا في ذكراه العشرين

تحتفل الأوساط الثقافية العربية، بالذكرى العشرين لرحيل الروائي والرسام والناقد الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا (1920/1994)، ولهذه المناسبة أحيت دارة الفنون في العاصمة الأردنية أمسية حول «عاشق القدس»، تحت عنوان «جبرا إبراهيم جبرا وأطياف القدس»، تحدث فيها الناقد فيصل دراج والناشر ماهر الكيالي والقاص هشام البستاني. واستهل دراج حديثه قائلاً: «إن الاحتفاء بجبرا نابع من واجب الاعتراف بجهود المبدع المختلف الذي تدلّ عليه آثاره المضيئة، وكما نتذكر جبرا وغيره من الراحلين: إدوارد سعيد الذي ولد في القدس، ورآها قاتمة حين زارها، قبل موته، مدينة متجهمة بعيدة عن الفرح، ومحمود درويش، ابن الجليل، الذي خاطب شوارع القدس غير مرة، وسميرة عزام الأديبة التي ماتت في الطريق، وهي تستمع إلى أخبار حرب يونيو عام 1967». ومضى درّاج يستذكر مشوار حياة جبرا الذي انتقل صبياً من بيت لحم إلى القدس، قصاصاً يستمد الحكايات من بشر عايشهم في القدس. جمع بعض قصصه القصيرة في كتاب أصدره في بيروت عام 1956، عنوانه «عرق وقصص أخرى»، موضحاً أن تلك القصص ظلّت ملازمة لروح جبرا ولامسها في رواياته اللاحقة، فكل ما كتبه كان من القدس، حتى حين كان منفياً في بغداد، مشيراً إلى أن القدس بدت واضحة بعد الهجرة في رواية «صيادون في شارع ضيّق»، المستهلة بفلسطيني متعلم فقير يبحث عن عمل في بغداد أبعد عن مدينته الأثيرة.

غياب المخرج المسرحيّ الروسيّ الكبير يوري ليوبيموف

توفى المخرج المسرحي الكبير يوري ليوبيموف عن 97 عاماً في أحد مستشفيات موسكو وذكرت وكالة «إيتار تاس» أن ليوبيموف فارق الحياة في مستشفى بوتكينسكي في موسكو، فيما قالت زوجته كاتالين إنه كان يعاني في الآونة الأخيرة قصوراً في القلب.

وُلد ليوبيموف في 30 أيلول عام 1917 وأسس عام 1964 مسرح «تاغانكا» في موسكو، وعمل مديراً فنياً له على مدى عشرين عاماً، وذاع صيت مسرح «تاغانكا» آنذاك في الاتحاد السوفياتي وكان قبلة للفنانين الروس البارزين مثل الممثل والشاعر والمغني فلاديمير فيسوتسكي، والفنانة آلا ديميدوفا، والممثل والشاعر ليونيد فيلاتوف وآخرين. وحرم ليوبيموف عام 1984 من الجنسية السوفياتية، فغادر الاتحاد السوفياتي ليعود إلى روسيا عام 1989 ويتولى إدارة مسرح «تاغانكا» مجدداً، وفي حزيران 2011 نشب نزاع بين ليوبيموف وممثلي «تاغانكا»، فتخلى عن إدارته وراح يتعاون مع مسارح أخرى مثل البولشوي حيث أخرج عام 2013 أوبرا «الأمير إيخور».

المخرج الروسيّ نيكيتا ميخالكوف يعرض فيلمه الجديد في القرم

شاهد أهالي عاصمة القرم سيمفيروبول قبل المشاهدين الروس فيلم «ضربة شمسية» المستوحى من قصة بهذا العنوان للكاتب الروسي الراحل إيفان بونين الحائز جائزة نوبل في الأدب، وهو من إخراج نيكيتا ميخالكوف المخرج الروسي المعروف الحائز على العديد من الجوائز السينمائية الدولية. ويبدأ عرض الفيلم في دور السينما الروسية اليوم الخميس، وتدور حوادثه في القرم قبل قيام ثورة أكتوبر عام 1917 وبعدها. وسبق لميخالكوف أن عرض فيلمه بنجاح كبير في صربيا التي أصبحت موطناً آخر للكثير من ضباط الجيش الأبيض الروسي الذين حاربوا البلاشفة في الحرب الأهلية الدامية بين عامي 1918 و1921 واضطروا، بعد هزيمتهم، إلى مغادرة الوطن الروسي نهائياً. ويجمع فيلم ميخالكوف الجديد بين قصة إيفان بونين تحت عنوان «ضربة شمسية» التي تدور حوادثها الغرامية في روسيا عام 1907، ويوميات الكاتب «أيام ملعونة» التي تعكس انهيار العالم الروسي وفرار النبلاء من الضباط والمثقفين من وطنهم الذي تسود فيه الفتنة والفوضى. ويؤدي دور الملازم أول في الفيلم الممثل اللاتفي الشاب مارتينش كاليتا، فيما يؤدي الممثل الصربي ميلوش بيكوفيتش دور ضابط روسي آخر. أما الدور النسائي فتؤديه الممثلة فيكتوريا سولوفيوفا من مدينة توريز في إقليم دونيتسك الأوكراني الذي يكافح اليوم لأجل نيل الاستقلال عن أوكرانيا.